العين وحشة!

انقلبتْ قهقهتُها العالية مرارةً، فأسرَّتها في نفسها خفية وابتلعتها، ثم واصلت الزوجةُ الشابةُ ضحكاتها الساخرة على مرأى من الزوج الغافل، الذي انشغل كعادته معها بقراءة الصحيفة اليومية، في حين اكتفت هي بالخبر الصغير الذي التقطته عيناها فأثار سخريتها وأضحكها إلى حدِّ البكاء... كان الخبر على ظاهره يثير الضحك، لكن بواطن الأمور لا يعلمها إلا علَّام الغيوب!

فسَّرت للزوجِ حين جاد عليها ببعض الانتباه سبب ضحكاتها مكتفية بقراءة الخبر الطريف: "امرأةٌ عجوزٌ تعيش في دار مسنين تمنَّت أن ترتدي فستان الزفاف الأبيض، استجابت الدار لرغبتها وحقَّقت أمنيتها فأقامت لها "زفَّة" بالفستان الأبيض كما تمنت، ثم عادت إلى الدار لتستكمل حياتها وهي سعيدة..."...[١]

تذكَّرت الزوجةُ الشابةُ ليلة زفافها بعد أن نحَّت عن مخيلتها الشدَّ العصبيَّ يومها والمشكلات المادية المُكبِّلة... الذكرى الجميلة التي لن

---

(١) نُشر الخبر بجريدة الأخبار يوم الاثنين الموافق ٢٠١٧/١/٢م.

تنمحي مع الأيام... الذروة التي تسعى لبلوغها كلُّ فتاةٍ إلى جانب رفيق العمر، ثم لا تلبث أن تكتشف أنَّها الذروة التي يعقبها مباشرةً المنحنى الهابط... مشكلات الحياة المادية القاسية التي خنقت فرحتها في مهدها لتسير الحياة بها وبرفيقها مقترنين في قيدٍ واحدٍ بغير فكاكٍ... ازدردت عبارةَ التبرم المعتادَ قولها في مثل تلك الأمور، ولم تبدها:

"خدنا إيه من الجواز غير وجع القلب!"... "كتها نيلة اللي عايزة تتجوز!"... "أنا اللي جبته لنفسي، ما كنت مرتاحة؟!"... وغير ذلك من عبارات التبرم التي ابتلعها الصمت...

تسلَّلت إلى نفس الزوج المنشغل أصداءٌ لهذا الخبر الطريف بمثل ما تسلَّلت إلى نفسها ليسرح بخياله... تذكَّر زيجته التي حارب من أجلها الدنيا كلَّها... سنوات طويلة لم تتح له السعادة سوى في تلك الليلة، ثم أقبلت المتاعب، والهموم، والمنغصات تباعًا فأنسته الفرحة التي حلم بها، ولم يمكِّنه القدرُ بعدها أن يرتاح...

غربت البسمةُ التي أشرقت على شفتيه وهو يتذكَّر تلك الليلة التي مَرَّت بخياله للحظةٍ في خضم البحر المظلم متلاطم الأمواج الذي سقط فيه... مصاريف لا تنتهي... أقساط... ديون... طفلٌ في عالم الغيب لا يملك حيلةً أمام واجباته تجاهه وهو على بعد شهورٍ قليلةٍ منه.. تحسَّر على

جهده، وصحته، ومعاناته الطويلة.. فليبتلع هو الآخر همومه ويبتسم في حين تكتَّم على السخرية في نفسه!

انتهى المشهد الذي جمعهما سويًّا بأن انصرف الزوج إلى المقهى ليلتقي بشِلَّتِه يتندَّرُ بهذا الخبر الفكاهي ويفصح عن مكنون نفسه ليجد من يشاركه حالته، أمَّا الزوجة ففور انصراف الزوج اتصلت بجارتها - التي تشاركها وحدتها مع غياب زوجها هي الأخرى- تدعوها لتحتسي معها قدحًا من القهوة، فبادرت تلبِّي طلبها، واشتركت المرأتان في السخرية تندبان حظهما وتتحسران على الشباب الذي جار عليه الشقاء، والإهمال، ومتاعب الحمل والإنجاب...

استمر حديث المرأتين طويلًا... تحفَّظت الواحدة منهما على الجوانب الإيجابية لحياتها الزوجية لتجهر بما يحيط بها من مشقة... توجَّست كلتاهما من الأخرى خيفة فـ"العين وحشة!"... قالتها كلتاهما في نفسها خفية... وواصلا حديثهما إلى أن عاد الزوج، ففاءت كلٌّ منهما إلى معسكرها!!

*****